لهم لأبواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل: حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها.

فإن قُلْتَ: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعًا بلفظ السوء؟ **قُلْتُ:** المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين **﴿طبتم﴾** من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا **﴿فادخلوها﴾** جعل دخول الجنة مسببًا عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحًا تنقى أنفسنا من دون الذنوب وتميط وضر هذه القلوب **﴿خالدين﴾** مقدرين الخلود.

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾.

﴿الأرض﴾ عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقرًا ومتبوأ، وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيهًا بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضًا.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله **﴿حيث نشاء﴾** وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره! **قُلْتُ:** يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾.

﴿حافين﴾ محدقين من حوله: **﴿يسبحون بحمد ربهم﴾** يقولون: سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين.

فإن قُلْتَ: إلام يرجع الضمير في قوله **﴿بينهم﴾**؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل، وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعًا لا يكون على سنن واحد، ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق.

فإن قُلْتَ: قوله **﴿وقيل الحمد لله﴾** من القائل ذلك؟ **قُلْتُ:** المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل: وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق، وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة، وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا». وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ: كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة غافر مكية

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾.

قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين، وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنه أعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال: طال عليه وتطوّل إذا تفضل.

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾.

فإن قُلْتَ: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفًا وتنكيرًا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف؟ **قُلْتُ:** أمّا غافر الذنب، وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدًا حتى يكونا في تقدير الانفصال، فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوّ ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد آذنت بأنّ كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف، واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظًا فقد غيروا كثيرًا من كلامهم عن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، 2/434. وأخرجه أحمد في المسند: 6/68. وعند أبي يعلى تنزيل السجدة والزمر (الحديث: 7643) و(4764).

قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه، فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أنّ الخليل قال في قولهم: ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك، وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام، ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدّة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار، ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال.

فإن قُلْتَ: ما بال الواو في قوله وقابل التوب **قُلْتُ:** فيها نكتة جليلة، وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة الذنوب كأن لم يذنب كأنه قال: جامع المغفرة والقبول، وروي أنّ عمر رضي الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له: تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم﴾ إلى قوله ﴿إليه المصير﴾[1] وختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيًا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يردّدها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة فسدّدوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانًا للشياطين عليه[2]، سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله وقد دلّ على ذلك في قوله: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾.

مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾.

فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله ﷺ: «إنّ جدالاً في القرآن كفر وإيراده منكرًا»[3]. وإن لم يقل إنّ الجدال تمييز منه بين جدال وجدال.

فإن قُلْتَ: من أين تسبب لقوله: ﴿فلا يغررك﴾ ما قبله؟ **قُلْتُ:** من حيث أنهم لما كانوا مشهودًا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإنّ مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد، ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل ما ادّخر لهم من سوء العاقبة مثلاً ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه وقرئ فلا يغرك.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾.

﴿الأحزاب﴾ الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم **﴿وهمت كل أمّة﴾** من هذه الأمم التي هي قوم نوح الأحزاب **﴿برسولهم﴾**، وقرئ برسولها **﴿ليأخذوه﴾** ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ **﴿فأخذتهم﴾** يعني: أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه إن أخذتهم **﴿فكيف كان عقاب﴾** فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب.

وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾.

﴿أنهم أصحاب النار﴾ في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار، ومعناه: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل، والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار، قرئ كلمات.

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾.

روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي ﷺ: «لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا

---

(1) سورة غافر، الآيات: 1 ـ 3.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة يزيد بن الأصم.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب: في تعظيم القرآن، فصل في ترك المماراة في القرآن (الحديث: 2257)، وعن أبي هريرة (الحديث: 2255).

فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقًا من الملائكة يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع»[1]. وفي الحديث: «إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة»[2]، وقيل: خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل: حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر، وقرأ ابن عباس العرش بضم العين.

فإن قُلْتَ: ما فائدة قوله **﴿ويؤمنون به﴾** لا يخفى على أحد أنّ حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون! **قُلْتُ:** فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى: ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين، ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أنّ إيمانهم وإيمان من في الأرض، وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أنّ إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا، وأنه منزه عن صفات الأجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به **﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾**، كأنه قيل: ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أنّ الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون ادعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة، وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوي وأرضي قط، ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى: **﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾**[3] أي يقولون **﴿ربنا﴾** وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانًا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالاً.

فإن قُلْتَ: تعالى الله عن المكان فكيف صحّ أن يقال وسع كل شيء؟ **قُلْتُ:** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى، والأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة، والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأنّ ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء.

فإن قُلْتَ: قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملاً على حديثهما جميعًا، وما ذكر إلا الغفران وحده **قُلْتُ:** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده، ودعا إليها.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾.

﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئًا إلا بداعي الحكمة، وموجب حكمتك أن تفي بوعدك.

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾.

﴿وقهم السيآت﴾ أي: العقوبات أو جزاء السيآت فحذف المضاف على أن السيآت هي الصغائر، أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة.

فإن قُلْتَ: ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد.

فإن قُلْتَ: هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكراهة والثواب، وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال: صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم أي ينادون يوم القيامة، فيقال لهم:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾.

﴿لمقت الله أكبر﴾ والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم، فاستغنى بذكرها مرة و **﴿إذ تدعون﴾** منصوب بالمقت الأوّل والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء، والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأتون قبوله وتختارون عليه الكفر أشدّ مما تمقتونهن اليوم، وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهنّ، وعن الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله، وقيل: معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى: ﴿يكفر بعضكم ويلعن بعضكم بعضًا﴾، وإذ تدعون تعليل والمقت أشدّ البغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدّه.

(1) قال الزيلعي غريب، ونسبه إلى تفسير الثعالبي، 3/218.

(2) لم يخرجه الزيلعي.

(3) سورة الشورى، الآية: 5.

obeikandl.com

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾.

﴿اثنتين﴾ إماتتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتًا أوّلاً وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وناهيك تفسيرًا لذلك قوله تعالى: **﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾**[1] وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فإن قُلْتَ: كيف صح أن يسمي خلقهم أمواتًا إماتة؟ **قُلْتُ:** كما صح أن تقول: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل، وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معًا على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين، وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياآت وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتحمل، فيمجل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها، ويعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى: **﴿إلاّ من شاء الله﴾**[2].

فإن قُلْتَ: كيف تسبب هذا لقوله تعالى **﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾**؟ **قُلْتُ:** قد أنكروا البعث، فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم **﴿فهل إلى خروج﴾** أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء **﴿من سبيل﴾** قط أم اليأس واقع دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيرًا، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله:

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾.

﴿ذلكم﴾ أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله، وإيمانكم بالإشراك به **﴿فالحكم لله﴾** حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله: **﴿العلي الكبير﴾** دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته، وقيل: كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾.

﴿يريكم آياته﴾ من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها، والرزق المطر لأنه سببه **﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾** وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه، ثم قال للمنيبين:

فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾.

﴿فادعوا الله﴾ أي اعبدوه **﴿مخلصين له الدين﴾** من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم.

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾.

﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح﴾ ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله: **﴿الذي يريكم﴾**، أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفًا وتنكيرًا وقرئ: **﴿رفيع الدرجات﴾** بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى: **﴿ذي المعارج﴾**[3] وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته. وعن ابن جبير: سماء فوق سماء العرش فوقهنّ، ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلوّ سلطانه كما أنّ ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة **﴿الروح من أمره﴾** الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه، فاستعار له الروح كما قال تعالى: **﴿أوَمن كان ميتًا فأحييناه﴾**[4] **﴿لينذر﴾** الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح، وقرئ: لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول، وقرئ: ليُنذر يوم التلاق على البناء للمفعول **﴿ويوم التلاق﴾** يوم القيامة لأنّ الخلائق تلتقي فيه، وقيل: يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل: المعبود والعابد.

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾.

﴿يوم هم بارزون﴾ ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل، أو أكمة أو بناء لأنّ الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً[5] **﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾** أي من أعمالهم وأحوالهم، وعن ابن مسعود

---

(1) سورة البقرة، الآية: 28.
(2) سورة الزمر، الآية: 68.
(3) سورة المعارج، الآية: 3.
(4) سورة الأنعام، الآية: 122.
(5) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: الحشر (الحديث رقم: 6527)، ومسلم في كتاب: الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم =

رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء.

فإن قُلْتَ: قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه؟ **قُلْتُ:** معناه: أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أنّ الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم، فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى: ﴿ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون﴾[1] وقال تعالى: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾[2] وذلك لعلمهم أنّ الناس يبصرونهم وظنهم أنّ الله لا يبصرهم وهو معنى قوله: وبرزوا لله الواحد القهار **﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾** حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به، ومعناه: أنه ينادي مناد فيقول: **﴿لمن الملك﴾** اليوم فيجيبه أهل المحشر **﴿لله الواحد القهار﴾**، وقيل: يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأوّل ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾.

﴿اليوم تجزى كل نفس﴾ الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب، لما قرّر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أنّ كل نفس تجزى ما كسبت وأنّ الظلم مأمون لأنّ الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد، وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾.

﴿الآزفة﴾: القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها، فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى: ﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾[3].

فإن قُلْتَ: ﴿كاظمين﴾ بم انتصب! **قُلْتُ:** هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى، لأن المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾[4] وقال: ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾[5] وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالاً عن قوله: ﴿وأنذرهم﴾[6] أي وأنذرهم مقدّرين أو مشارفين الكظم كقوله تعالى: ﴿فادخلوها خالدين﴾. الحميم المحب المشفق. والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فرقك.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله تعالى: **﴿ولا شفيع يطاع﴾؟ قُلْتُ:** يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معًا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابًا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعًا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعًا، ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره.

فإن قُلْتَ: فعلى أي الاحتمالين يجب حمله! **قُلْتُ:** على نفي الأمرين جميعًا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأنّ الله لا يحب الظالمين، فلا يحبونهم وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾، ولأنّ الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى: ﴿ويزيدهم من فضله﴾[7] وعن الحسن رضي الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة.

فإن قُلْتَ: الغرض حاصل بذكر الشفيع، ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها؟ **قُلْتُ:** في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأنّ الصفة لا تتأتى بدون موصوفها، فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس، وفقد السلاح علة مانعة والركوب والمحاربة كأنك تقول: كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله: ﴿لا شفيع يطاع﴾ معناه: كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان نكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعًا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾.

= القيامة (الحديث رقم: 56 ـ 2859).

(1) سورة فصلت، الآية: 22.

(2) سورة النساء، الآية: 108.

(3) سورة الملك، الآية: 27.

(4) سورة يوسف، الآية: 4.

(5) سورة الشعراء، الآية: 4.

(6) سورة مريم، الآية: 39.

(7) سورة النساء، الآية: 173.

الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى: المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب، ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأنّ قوله: ﴿وما تخفي الصدور﴾[1] لا يساعد عليه.

فإن قُلْتَ: بم اتصل قوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾! **قُلْتُ:** هو خبر من أخبار هو في قوله: ﴿هو الذي يريكم﴾[2] مثل ﴿يلقي الروح﴾ ولكن يلقي الروح قد علل بقوله: ﴿لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق﴾ إلى قوله: ﴿ولا شفيع يطاع﴾[3] فبعد لذلك عن أخواته.

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾.

﴿والله يقضي بالحق﴾ يعني: والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي إلا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم، وألهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لأنّ ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي ﴿إنّ الله هو السميع البصير﴾ تقرير لقوله: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر، وقرئ: يدعون بالتاء والياء.

❁ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾.

هم في ﴿كانوا هم أشدّ منهم﴾ فصل.

فإن قُلْتَ: من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعًا بين معرفة وغير معرفة وهو أشدّ منهم **قُلْتُ:** قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراها، وقرئ: منكم وهي في مصاحف أهل الشام ﴿وآثارًا﴾ يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم، أو أرادوا أكثر آثاراً كقوله متقلدًا سيفًا ورمحًا.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾.

﴿وسلطان مبين﴾ وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا: هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرًا وكذابًا.

فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾.

﴿فلما جاءهم بالحق﴾ بالنبوّة.

فإن قُلْتَ: أما كان قتل الأبناء، واستحياء النساء من قبل خيفة أو يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده؟ **قُلْتُ:** قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قالوا اقتلوا﴾ أعيدوا عليهم القتل كالذي كان، أو لا يريد أن هذا قتل غير القتل الأوّل ﴿في ضلال﴾ في ضياع وذهاب باطلاً لم يجد عليهم يعني: أنهم باشروا قتلهم، أو لا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى، وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظًا وحنقًا وظنًا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أنّ كيده ضائع في الكرتين جميعًا.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾.

﴿ذروني أقتل موسى﴾ كانوا إذا همّ بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة، ومثله لا يقاوم إلا ساحرًا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معاوضته بالحجة والظاهر أنّ فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبيّ وأنّ ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة، وكان قتالاً سفاكًا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه، ولكنه كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله ﴿وليدع ربّه﴾ شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويهًا على قومه وإيهامًا أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع ﴿أن يبدل دينكم﴾ أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه، ويعبدون الأصنام بدليل قوله: ﴿ويذرك وآلهتك﴾ والفساد في الأرض: التفانن والتهارج الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلاً وضياعًا كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه، أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو، ومعناه: إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معًا. وقرئ: يظهر من أظهر والفساد منصوب أي: يظهر موسى الفساد، وقرئ: يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي: تتابع وتعاون.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ

(1) سورة غافر، الآية: 19.
(2) سورة غافر، الآية: 13.
(3) سورة غافر، الآية: 18.

بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾.

لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه: ﴿إني عذت﴾ بالله الذي هو ربي وربكم وقوله: ﴿وربكم﴾ فيه بعث لهم عن أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال: ﴿من كل متكبر﴾ لتشمل استعانته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه، ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال: ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر، والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعنت ولنت أخوان، وقرئ: عت بالإدغام.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾.

﴿رجل مؤمن﴾ وقرئ ﴿رجل﴾ بسكون الجيم كما يقال عضْد في عضُد، وكان قبطيًا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرًا وقيل: كان إسرائيليًا و ﴿من آل فرعون﴾ صفة رجل أو صلة ليكتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون، واسمه سمعان أو حبيب وقيل: خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإنّ المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلوا، ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه ينتصح لقومه ﴿أن يقول﴾ لأن يقول وهذا إنكار عظيم وتبكيت شديد، كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله: ﴿ربي الله﴾ مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة، ولكن بينات عدّة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به ولليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافًا محذوفًا أي وقت أن يقول، والمعنى: أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله: ﴿بالبينات﴾ يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها، ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقًا فـ ﴿إن يك كاذبًا فعليه كذبه﴾ أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره ﴿وإن يك صادقًا يصبكم بعض﴾ ما يعدكم إن تعرّضتم له.

فإن قُلْتَ: لم قال بعض ﴿الذي يعدكم﴾ وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ **قُلْتُ:** لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلا أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه، فقال: وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردّوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقًا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيًا فضلاً أن يتعصب له، أو يرمي بالحصا من وراثه وتقديم الكاذب على الصادق أيضًا من هذا القبيل، وكذلك قوله: إنّ الله لا يهدي من هو مسرف كذاب.

فإن قُلْتَ: فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت:

لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

قُلْتُ: إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقي كان أجفى من أن يفقه ما أقول له ﴿إنّ الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ يحتمل أنه إن كان مسرفًا كذابًا خذله الله، وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله للنبوّة ولما عضده بالبينات، وقيل: ما تولى أبو بكر من رسول الله ﷺ كان أشدّ من ذلك طاف ﷺ بالبيت، فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال: «أنا ذاك» فقام أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فالتزمه من وراثه وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟» وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعًا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه[1] وعن جعفر الصادق: أنّ مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًا وأبو بكر قاله ظاهرًا.

يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾.

﴿ظاهرين في الأرض﴾ في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني: أنّ لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرّضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال: ﴿ينصرنا﴾ وجاءنا لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم بأنّ الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم برأي

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: التاريخ، باب: عتب النبي ﷺ (الحديث رقم: 6567).

إلا بما أرى من قتله يعني: لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب ﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأي ﴿إلا سبيل الرشاد﴾ يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أنّخر منه شيئًا ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعني: أنّ لسانه، وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرًا للخوف الشديد من جهة موسى، ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدًا ولم يقف الأمر على الإشارة. وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام، أو من رشد بالفتح كعباد وقيل: وهو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لأنّ فعالاً من أفعل لم يجئ إلا في عدّة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وحبار، ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل.

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾.

﴿مثل يوم الأحزاب﴾ مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود، ولم يلبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأنّ المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله: ﴿كلوا في بعض بطنكم تعفوا﴾ وقال الزجاج: مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبًا دائمًا منهم لا يفترون عنه ولا بدّ من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم.

فإن قُلْتَ: بم انتصب مثل الثاني! **قُلْتُ:** بأنه عطف بيان لمثل الأوّل لأنّ آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أوّل ما تناولته الإضافة.

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾.

﴿وما الله يريد ظلمًا للعباد﴾ يعني: أن تدميرهم كان عدلاً وقسطًا لأنهم استوجبوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[1] حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأنّ من كان عن إرادة الظلم بعيدًا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلمًا مّا لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾[2] أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمّرهم لأنهم كانوا ظالمين.

وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾.

التنادي ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾، ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور. وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه﴾، وعن الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندوا هربًا فلا يأتون قطرًا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفًا فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديًا أقبلوا إلى الحساب.

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾.

﴿تولون مدبرين﴾ عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارّين عن النار غير معجزين.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾.

هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيًا عشرين سنة وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل: هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات، فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين ﴿حتى إذا﴾ قبض ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ حكمًا من عند أنفسكم من غير برهان، وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أستستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولاً بتصديق لرسالة يوسف، وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته، وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرّر بعضًا بنفي البعث، ثم قال: ﴿كذلك يضل الله﴾ أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه.

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾.

﴿الذين يجادلون﴾ بدل من من هو مسرف.

فإن قُلْتَ: كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد؟ **قُلْتُ:** لأنه لا يريد مسرفًا واحدًا فكأنه قال: كل مسرف.

فإن قُلْتَ: فما فاعل ﴿كبر﴾؟ **قُلْتُ:** ضمير من هو مسرف.

فإن قُلْتَ: أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون! **قُلْتُ:** بلى هو جمع في المعنى، وأما اللفظ فموحد

(1) سورة فصلت، الآية: 46.
(2) سورة الزمر، الآية: 7.

فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر، ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بدّ في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتًا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرًا وفاعل كبر قوله ﴿كذلك﴾ أي كبر مقتًا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال: كبر مقتًا عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتًا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حدّ إشكاله من الكبائر، وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول: رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل: ﴿فإنه آثم قلبه﴾[1] وإن كان الآثم هو الجملة، ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾.

قيل: الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر.

أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾.

و ﴿أسباب السموات﴾ طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء، فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه.

فإن قُلْتَ: ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموت لأجزا! قُلْتُ: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيمًا لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرًا عجيبًا أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب، فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه. وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيهًا للترجي بالتمني، ومثل ذلك التزيين وذلك الصدّ ﴿زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾، أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله: ﴿زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾، وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عزّ وجلّ دلّ عليه قوله إلى إلّه موسى وصدّ بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل: قيل، والتباب: الخسران والهلاك، وصدّ مصدر معطوف على سوء عمله وصدّوا هو وقومه

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾.

قال: ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ فأجمل لهم ثم فسّر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لأنّ الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدّي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين دعوة إلى دين الله الذي ثمرته التجارة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذروا وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أنّ الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾[2] وفي هذا أيضًا دليل بين على أنّ الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغيّ، وفيه تعريض شبيه بالتصريح أنّ ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغيّ.

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾.

﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ لأنّ الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل، قرئ يدخلون ويدخلون ﴿بغير حساب﴾ واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أنّ جزاء السيئة لها حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح، فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة.

❁ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾.

فإن قُلْتَ: لم كرر نداء قومه، ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟ قُلْتُ: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يا أبت، وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة. يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له.

(1) سورة البقرة، الآية: 283.

(2) سورة غافر، الآية: 45.

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾.

﴿ما ليس لي به علم﴾ أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفى المعلوم كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلهًا.

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾.

﴿لا جرم﴾ سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردًّا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأنّ مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته، أو بمعنى كسب من قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾[1] أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، ويجوز أن يقال أن لا جرم نظير لا بدّ فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى: لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى: أنهم أبدًا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي: لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقًا وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم **﴿ليس له دعوة﴾** معناه أن ما تدعونني إليه ليس له نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته، ثم يدعو العباد إليها إظهارًا لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعي الربوبية، ولو كان حيوانًا ناطقًا لضجّ من دعائكم وقوله: **﴿في الدنيا ولا في الآخرة﴾** يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئًا من دعاء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيوانًا تبرأ من الدعاة إليه ومن عبدته وقيل: معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة، أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾[2] **﴿المسرفين﴾** وعن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل: الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون.

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾.

وقرئ: **﴿فستذكرون﴾** أي فسينذكر بعضكم بعضًا **﴿وأفوض أمري إلى الله﴾** لأنهم توعدوه.

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾.

﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل: نجا مع موسى **﴿وحاق بآل فرعون﴾** ما هموا به من تعذيب المسلمين، ورجع عليهم كيدهم.

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾.

﴿النار﴾ بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال: ما سوء العذاب، فقيل: هو النار أو مبتدأ خبره. **﴿يعرضون عليها﴾** وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به، وقرئ: **﴿النار﴾** بالنصب وهي تعضد الوجه الأخير، وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص **﴿غدوًا وعشيًا﴾** في هذين الوقتين يعذبون بالنار، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإمّا أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم، ويجوز أن يكون غدوًا وعشيًا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم: **﴿ادخلوا﴾** يا **﴿آل فرعون أشدّ﴾** عذاب جهنم وقرئ: **﴿أدخلوا آل فرعون﴾** أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم.

فإن قُلْتَ: قوله: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ معناه: أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جبًا وقع فيه منكبًا فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعًا عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم **قُلْتُ:** يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قومًا، فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقًا لأنه همّ بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه، ويجوز أن يهمّ فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره، وهمّ بفعله ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، وانكر وقت يتحاجون.

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾.

﴿تبعًا﴾ تباعًا كخدم في جمع خادم، أو ذوي تبع أي أتباع أو وصفًا بالمصدر، وقرئ كلاً على التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها.

(1) سورة المائدة، الآية: 2.

(2) سورة الرعد، الآية: 14.

فإن قُلْتَ: هل يجوز أن يكون كلاً حالاً قد عمل فيها فيها؟ **قُلْتُ:** لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدمًا تقول: كل يوم لك ثوب، ولا تقول قائمًا في الدار زيد.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾.

﴿قد حكم بين العباد﴾ قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾.

﴿لخزنة جهنم﴾ للقوام بتعذيب أهلها.

فإن قُلْتَ: هلا قيل الذين في النار لخزنتها! **قُلْتُ:** لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعًا، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعرًا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقي الشعر على لسان المنتسب إليه، فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال أبو نواس في خلف الأحمر: فليذمّ من العياليم الخسف، وفيها أعني: الكفار وأطغاهم فلعلّ الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم.

قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾.

﴿أولم تك تأتيكم﴾ إلزام للحجة وتوبيخ، وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات **﴿قالوا فادعوا﴾** أنتم فإنا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم، والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن الدلالة على الخيبة، فإنّ الملك المقرّب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾.

﴿في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ أي في الدنيا والآخرة يعني: أنه يغلبهم في الدارين جميعًا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحانًا من الله، فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمّة محمد ﷺ لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الأوّل يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة، ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى: **﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾**[1].

يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾.

﴿ولهم اللعنة﴾ البعد من رحمة الله **﴿ولهم سوء الدار﴾** أي سوء دار الآخرة وهو عذابها، وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾.

﴿وأورثنا﴾، وتركنا على بني إسرائيل من بعده **﴿الكتاب﴾** أي التوراة.

هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾.

﴿هدى وذكرى﴾ إرشادًا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون بما فيه.

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾.

﴿فاصبر إنّ وعد الله حق﴾ يعني أنّ نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى، وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمّتك مشارق الأرض ومغاربها، فاصبر على ما يجرّعك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه **﴿بالعشي والإبكار﴾** وقيل: هما صلاتا العصر والفجر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾.

﴿إن في صدورهم إلا كبر﴾ إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدّم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك، ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدّمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوّة دونك حسدًا وبغياً ويدل عليه قوله تعالى: **﴿لو كان خيرًا ما سبقونا إليه﴾**[2] أو إرادة دفع الآيات بالجدال **﴿ما هم ببالغيه﴾** أي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه، وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوّة أو دفع الآيات، وقيل: المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدّجال ويبلغ

(1) سورة المرسلات، الآية: 36.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 11.

سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرًا ونفى أن يبلغوا متمناهم ﴿فاستعذ بالله﴾ فالتجئ إليه من كيد من يحسدك، ويبغي عليك ﴿إنه هو السميع﴾ لما تقول ويقولون ﴿البصير﴾ بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾.

فإن قُلْتَ: كيف اتصل قوله:

﴿لخلق السموات والأرض﴾ بما قبله؟ **قُلْتُ:** إن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها، فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله ﴿لا يعلمون﴾ لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾.

ضرب الأعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء، وقرئ ﴿يتذكرون﴾ بالياء والتاء أعم.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿لا ريب فيها﴾ لا بدّ من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بدّ من جزاء ﴿لا يؤمنون﴾ لا يصدقون بها.

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾.

﴿ادعوني﴾ اعبدوني والدعاء بمعنى: العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ والاستجابة الإثابة وفي تفسير مجاهد: اعبدوني أثبكم. وعن الحسن: وقد سئل عنها اعموا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري أنه قيل له: ادع الله، فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث: «إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1]. وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ الدعاء هو العبادة[2] وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لأنّ الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما أفضل العبادة الدعاء[3] وعن كعب: أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبيًا مرسلاً كان يقول: لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال: لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا: ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول: ادعني أستجب لك وقال: لنا ادعوني أستجب لكم، وعن ابن عباس: وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ﴿داخرين﴾ صاغرين.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾.

﴿مبصرًا﴾: من الإسناد المجازي لأنّ الإبصار في الحقيقة لأهل النهار.

فإن قُلْتَ: لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال، وهلا كانا حالين أو مفعولاً لهما فيراعى حق المقابلة؟ **قلت:** هما متقابلان من حيث المعنى لأنّ كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولأنه لو قيل: لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل: ساكنًا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز.

فإن قُلْتَ: فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس! **قُلْتُ:** في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار ﴿نلكم﴾ المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾.

﴿الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾ أخبار مترادفة أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له ﴿فأنى تؤفكون﴾، فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان.

كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾.

ثم ذكر أنّ كل من جحد بآيات الله، ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا، وقرئ خالق كل شيء نصبًا على الاختصاص، وتؤفكون بالتاء والياء هذه أيضًا دلالة أخرى على تمييزه بأفعال خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرًا.

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: (45) (الحديث: 2926).

(2) تقدم في سورة: مريم.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك: 1/491.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾.

﴿والسماء بناء﴾ أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأنّ السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض **﴿فاحسن صوركم﴾**، وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانًا أحسن صورة من الإنسان وقيل: لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى: **﴿في أحسن تقويم﴾**[1].

هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾.

﴿فادعوه﴾ فاعبدوه **﴿مخلصين له الدين﴾** أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال: لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين[2].

۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾.

فإن قُلْتَ: أما نهى رسول الله ﷺ عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه **قُلْتُ:** بلى ولكن البينات لما كانت مقوّية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى: **﴿أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾**[3] وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرًا لأدلة العقل والسمع جميعًا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعًا لأنّ ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾.

﴿لتبلغوا اشدكم﴾ متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا، وكذلك لتكونوا وأما **﴿ولتبلغوا اجلاً مسمى﴾** فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى وهو وقت الموت وقيل: يوم القيامة، وقرئ شيوخًا بكسر الشين وشيخًا على التوحيد كقوله طفلاً والمعنى: كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأنّ الغرض بيان الجنس **﴿من قبل﴾** من قبل الشيخوخة، أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطًا **﴿ولعلكم تعقلون﴾** ما في ذلك من العبر والحجج.

هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾.

﴿فإذا قضى امرًا فإنما﴾ يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما نكر من أفعاله الدالة على أنّ مقدورًا لا يمتنع عليه كأنه قال: فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرًا كان أهون شيء وأسرعه.

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾.

﴿بالكتاب﴾ بالقرآن **﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾** من الكتب.

إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾.

فإن قُلْتَ: وهل قوله:

﴿فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم﴾ إلى مثل قولك سوف أصوم أمس؟ **قُلْتُ:** المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعًا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى: على الاستقبال، وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الإسمية وعنه والسلاسل يسحبون بحر السلاسل ووجه أنه لو قيل: إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحًا مستقيمًا، فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

كأنه قيل: بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون.

فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾.

﴿في النار يسجرون﴾ من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملىء، ومعناه: أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى: **﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة﴾**[4] اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك.

مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

﴿ضلوا عنا﴾ غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم.

فإن قُلْتَ: أما ذكرت في تفسير قوله تعالى: **﴿إنكم وما**

---

(1) سورة التين، الآية: 4.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2/438.
(3) سورة الصافات، الآيتان: 95 ـ 96.
(4) سورة الهمزة، الآيتان: 6 ـ 7.

تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾[1] أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم: أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم **﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا﴾** أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئًا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئًا كما تقول حسبت أنّ فلانًا شيء، فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خبرًا **﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾** مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا.

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾.

﴿ذلكم﴾ الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح **﴿بغير الحق﴾**، وهو الشرك وعبادة الأوثان.

ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾.

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى: **﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾**[2] **﴿خالدين﴾** مقدّرين الخلود **﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾** عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم.

فإن قُلْتَ: أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول: زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلي؟ **قُلْتُ:** الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.

﴿فإمّا نرينك﴾ أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن أما تكرمني أكرمك.

فإن قُلْتَ: لا يخلو إما أن تعطف **﴿أو نتوفينك﴾** على نرينك وتشركهما في جزاء واحد، وهو قوله تعالى **﴿فإلينا يرجعون﴾** فقولك فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصًا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء **قُلْتُ:** فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره، فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة، فتنتقم منهم أشدّ الانتقام ونحوه قوله تعالى: ﴿فإما نذهبنّ بك فإنا منهم منتقمون، أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون﴾[3].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾.

﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ قيل: بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن عليّ رضي الله عنه أنّ الله تعالى بعث نبيًا أسود[4]، فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ عنادًا يعني أنا قد أرسلنا كثيرًا من الرسل وما كان لواحد منهم **﴿أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾**، فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها **﴿فإذا جاء أمر الله﴾** وعيد وردّ عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة **﴿المبطلون﴾** هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرًا.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾.

الأنعام الإبل خاصة.

فإن قُلْتَ: لم قال **﴿لتركبوا منها﴾** ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا إلى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم! **قُلْتُ:** في الركوب الركوب في الحج والغزو، وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية إمّا واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع، فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله:

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾.

﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر.

فإن قُلْتَ: هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين! **قُلْتُ:** معنى الإيعاء، ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأنّ الفلك وعاء أن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضًا فليطابق قوله: وعليها وبزواجه.

وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾.

﴿فأي آيات الله﴾ جاءت على اللغة المستفيضة، وقولك فأية آيات الله قليل لأنّ التفرقة بين المذكر والمؤنث في

(1) سورة الأنبياء، الآية: 98.
(2) سورة الحجر، الآية: 44.
(3) سورة الزخرف، الآيتان: 41 ـ 42.
(4) أخرجه ابن مردويه، وذكره الطبراني في معجمه الأوسط، وذكره الثعلبي، الزيلعي: 3/222.

الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب، وهي في أي أغرب لاتهامه.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾.

﴿وآثارًا﴾ قصورهم ومصانعهم وقيل: مشيهم بارجلهم لعظم أجرامهم ﴿فما أغنى عنهم﴾ ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة، أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم كسوبهم أو كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى: ﴿بل أدراك علمهم في الآخرة﴾[1] وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون: لا نبعث ولا نعذب وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾[2] ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني بونان وكانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله: فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال: استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى:

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾.

﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[3] ومنها أن يجعل الفرح للرسل، ومعناه: أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم، ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[4] ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾[5] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به.

فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾.

البأس شدّة العذاب ومنه قوله تعالى: ﴿بعذاب بئيس﴾[6].

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾.

فإن قُلْتَ: أي فرق بين قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ وبينه لو قيل فلم ينفعهم إيمانهم؟ **قُلْتُ:** هو من كان في نحو قوله: ﴿ما كان الله أن يتخذ من ولد﴾[7] والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم.

فإن قُلْتَ: كيف ترادفت هذه الفاآت؟ **قُلْتُ:** أما قوله تعالى: ﴿فما أغنى عنهم﴾[8] فهو نتيجة قوله: ﴿كانوا أكثر منهم﴾[9] وأما قوله: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾[10] فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى: ﴿فما أغنى عنهم﴾[11] كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾[12] تابع لقوله: ﴿فلما جاءتهم﴾[13] كأنه قال: فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله ﴿سنت الله﴾ بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و ﴿هنالك﴾ مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس، وكذلك قوله: ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾[14] بعد قوله: ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق﴾[15] أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له».

---

(1) سورة النمل، الآية: 66.
(2) سورة الروم، الآية: 32.
(3) سورة الأحقاف، الآية: 26.
(4) سورة الروم، الآية: 7.
(5) سورة النجم، الآية: 30.
(6) سورة الأعراف، الآية: 165.
(7) سورة مريم، الآية: 35.
(8) سورة الأحقاف، الآية: 26.
(9) سورة غافر، الآية: 82.
(10) سورة غافر، الآية: 83.
(11) سورة الأحقاف، الآية: 26.
(12) سورة غافر، الآية: 84.
(13) سورة غافر، الآية: 83.
(14) سورة غافر، الآية: 78.
(15) سورة غافر، الآية: 78.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة فصلت مكية

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾.

إن جعلت ﴿حم﴾ إسمًا للسورة كانت في موضع المبتدأ و ﴿تنزيل﴾ خبره وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف و ﴿كتاب﴾ بدل من تنزيل، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ، وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلاً تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ ﴿فصلت آياته﴾ ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك، وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد ﴿قرآنًا عربيًا﴾ نصب على الاختصاص، والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنًا من صفته كيت وكيت وقيل: هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنًا عربيًا ﴿لقوم يعلمون﴾ أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه.

فإن قُلْتَ: بم يتعلق قوله لقوم يعلمون؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل يفرق بين الصلات والصفات.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾.

وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف ﴿فهم لا يسمعون﴾ لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾.

والأكنة جمع كنان وهو الغطاء، الوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾[1] ومج أسماعهم له كأن بها صمماً عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابًا ساترًا وحاجزًا منيعًا من جبل، أو نحوه فلا تلاقي ولا تراثي ﴿فاعمل﴾ على دينك ﴿إننا عاملون﴾ أي على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك، وقرئ إنا عاملون.

فإن قُلْتَ: هل لزيادة من في قوله ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فائدة! **قُلْتُ:** نعم لأنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى: أن حجابًا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن حجابًا ابتدأ منا، وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

فإن قُلْتَ: هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل: وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد! **قُلْتُ:** هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾[2] ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في: المعاني.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾.

فإن قُلْتَ: من أين كان قوله: ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿قلوبنا في أكنة﴾؟ **قُلْتُ:** من حيث أنه قال لهم إني لست بملك، وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إليّ دونكم فصحت بالوحي إليّ وأنا بشر نبوّتي وإذا صحت نبوّتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إليّ أن إلهكم إله واحد ﴿فاستقيموا إليه﴾، فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينًا ولا شمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء ﴿وتوبوا إليه﴾ مما سبق لكم من الشرك ﴿واستغفروه﴾، وقرئ قال: إنما أنا بشر.

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾.

فإن قُلْتَ: لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة؟ **قُلْتُ:** لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾ أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرّت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردّة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا، وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل: كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله ﷺ وقيل: لا يفعلون ما يكونون به أزكياء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾.

(1) سورة البقرة، الآية: 88.

(2) سورة الكهف، الآية: 57.